مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

المغالطة الكبرى:

"معاداة السامية" أم "معاداة الصهيونية"؟

د. عبدالرزاق غراف
باحث أول
مركز الخليج للأبحاث

لطالما أعتبرت **«معاداة السامية»** الأداة المرجعية التي ترجمت مظلومية اليهود التاريخية في الغرب وبخاصة في أوروبا وحماية هذه المظلومية لاحقا، بعد الحرب العالمية الثانية. وعلى وطأة تداعيات «الهولوكوست» التي على أساسها استغلت الحركة الصهيونية الظروف التي تلت نهاية الحرب من أجل تحصيل الدعم الغربي المطلق في اتجاه تجسيد طموحهم القومي نحو انشاء وطن قومي لهم في فلسطين، استغلت إسرائيل واللوبيات الداعمة لها في الغرب هذه الأداة من أجل ضمان استمرار تدفق الدعم الغربي لها، بما يضمن ترسيخ وجودها في البداية ثم ضمان تفوقها على محيطها العربي فيما بعد.

كما تم الاستناد إلى هذه الأداة لتوفير الغطاء القانوني الهادف لوأد كل ناقد لإسرائيل أو المشكك في مظلومية اليهود التاريخية بما فيها الهولوكوست في حد ذاتها، الأمر الذي أفرز حالة من الخلط بين مفهومي **«معاداة السامية»** و **«معاداة الصهيونية»** كحركة عنصرية تشكل إمتداداً طبيعياً للإستعمار الأوروبي التقليدي

فمن السياسة إلى الاقتصاد إلى الإعلام والصحافة إلى السينما إلى الجامعات والبحث العلمي إلى السوشيال ميديا وكل المجالات، تم استغلال «معاداة السامية» كرادع للتضييق وملاحقة كل من تسوّل له نفسه انتقاد إسرائيل والتشكيك في روايتها الصهيونية انطلاقاً من مظلومية اليهود التاريخية

مع اندلاع الحرب الراهنة في قطاع غزة بعد هجوم السابع من أكتوبر الذي قادته حركة حماس كرد فعل على قرابة الستة عقود من الإضطهاد، عادت محاولة الخلط بين مفهومي **«معاداة السامية»** و**«معاداة الصهيونية»** على النحو الذي يُراد منه تكميم أفواه منتقدي الهمجية الإسرائيلية وجرائم الإبادة الجماعية التي أودت لغاية الآن بقرابة **14 ألف** شهيد أكثر من **70%** منهم

من الأطفال والنساء، ولعّل الضغوط على النائبة **«رشيدة طليب»** أول عضوة من أصول فلسطينية في الكونجرس بسبب مواقفها وجرأتها على الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، ومؤخراً **«إيلون ماسك»** مالك منصة **"X"** (تويتر سابقا) الذي يواجه ضغوطاً سياسية من الإدارة الامريكية وأخرى اقتصادية من كبرى الشركات الاقتصادية، بسبب رفضه اعتماد الرواية الإسرائيلية والتضييق على المحتوى العربي والفلسطيني في منصته، والعديد من النماذج والشخصيات التي وجدت نفسها في مواجهة تهمة **«العداء**

للسامية» بسبب انتقادها لإسرائيل والتشكيك في الرواية الصهيونية التي تساق من أجل تبرير الجرائم الحاصلة في حق الفلسطينيين

فضلا على مغالطة المصطلح الذي جعل اليهود من خلال هذا القانون أنفسهم أوصياء على الجنس السامي رغم أنهم لا يشكلون منه إلا قليل القليل **(أقل من 10%)**، وكذا مغالطة التاريخ والجغرافيا كون المظلومية اليهودية كانت في الغرب في الوقت الذي عاش فيه اليهود في كنف المجتمعات الشرقية وفي ظل الخلافة الإسلامية متمتعين بحقوقهم كاملة دون نقصان، فإن كثيراً من دوائر صنع القرار في الدول الغربية وكذا وسائل الإعلام قد تماهت مع هذه المغالطة الكبرى بين مصطلحي «معاداة السامية» والترادف بين المصطلحين وبالتالي تساوي تداعياتهما القانونية والسياسية، ما سيساهم في تبرير الجرائم الإسرائيلية وتحريم انتقادها بل ونقدها انطلاقا من إمكانية تصنيف ذلك في خانة العداء للسامية الذي تجرّمه القوانين الغربية.

رغم هذه المغالطة فإن الثابت أن هناك فارق جوهري بين معاداة السامية في معناها الشامل الذي يعني التحيز ضد اليهود من منطلق عنصري دوني، ومعاداة الصهيونية التي تُعنى بمعاداة المشروع الصهيوني العنصري وممارساته الإجرامية، وبالتالي فإن الفرق شاسع بين كون المرء يهوديا وكونه صهيونيا، وأي محاولة للخلط بين حدود الاختلاف بين المفهومين ومحاولة

و»معاداة الصهيونية»، مما سيفرز نتائج وخيمة مستقبلاً في حال ما إذا تصاعد هذا التماهي ليتحول إلى حالة من التطابق توسيع نطاق التوافق بينهما هو في حقيقته يصب في خانة المساعي الإسرائيلية الراغبة في تحصيل مكاسب سياسية على

مستوى دوائر صنع القرار والرأي العام الغربيين ومن ثم الرأي العام الدولي، من أجل توسيع نطاق معاداة السامية لتشمل معاداة الصهيونية وبالتالي تجنيب إسرائيل وقادتها أي مسؤولية سياسية أو قانونية أو حتى أخلاقية أمام المجتمع الدولي، فضلاً على تجنب تداعيات القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني

في الغرب أصبح الأمر مقلقا بالنسبة لكثير من النخب السياسية أو حتى النخب المثقفة الواعية لمخاطر هذا الخلط العمدي بين الظاهرتين، والتي أصبحت تدق ناقوس الخطر حول هذه المغالطة الكبرى الجاري التسويق لها تحت رعاية إسرائيل واللوبيات الداعمة لها في دوائر صنع القرار الغربي، فعلى سبيل المثال لا الحصر تصاعدت أصوات داخل حزب العمال البريطاني تنادي بضرورة عدم الخلط بين معاداة السامية وبين الانتقادات الواجب تقديمها لإسرائيل كنتيجة لأفعالها غير الإنسانية في الأراضي الفلسطينية

ولعّل أكبر حجة يمكن الانطلاق منها لإفشال هذه المحاولات الراغبة في دمج الظاهرتين على أنهما ظاهرة واحدة في ترويجها لهذه المغالطة الكبرى، هو تنامي الشعور اليهودي المعادي للصهيونية ذاتها، حيث تعالت مؤخراً الكثير من الأصوات اليهودية المعبرة عن انتقادها لإسرائيل وسياساتها العنصرية تجاه الفلسطينيين، وهو ما أعاد التذكير بالإشكال القديم الجديد المرتبط بالإجماع اليهودي على وجود دولة إسرائيل انطلاقاً من وجود طوائف يهودية ترى في إسرائيل أمراً منافياً للنصوص التوراتية، وهو إشكال مرتبط بالإشكال الأكبر المرتبط بحدود التوافق بين **اليهودية كعقيدة دينية والصهيونية كعقيدة سياسية عنصرية**، ما يضع المشروع

الصهيوني برمته تحت حتمية إعادة القراءة من جديد، وإن كانت هذه النقاشات قد تم وأدها وعزل الأصوات اليهودية المجاهرة بها في العقدين الأخيرين وبجهود مضنية من اليمين الإنجيلي الصهيوني الذي تصاعد نفوذه في دوائر صنع القرار الغربي في السنوات الأخيرة، إلا أن الحرب الراهنة على قطاع غزة وتآكل مظلومية إسرائيل في الوعي والرأي العام الغربي قد أعاد هذه الجدلية من جديد، انطلاقاً من المشاركة اليهودية المعتبرة في كثير المظاهرات والفعاليات

المنددة بجرائم الاحتلال الإسرائيلي في القطاع

ختاما حرب غزة الراهنة وبالنظر لحجمها وتداعياتها على كل المستويات تعدّ فارقة، فما قبل الحرب ليس كما بعده، وبغض النظر حول التقييم العام للحرب وما

حقّقه كل طرف فيها من مكاسب وخسائر، ورغم أنه من المبكر قياس حجم التداعيات والحرب لم تضع أوزارها بعد، وفي ظل صعوبة التنبؤ بالسيناريوهات المحتملة نظراً لغياب مخرج في الأفق يمكن البناء عليه من أجل تقديم رؤية مستقبلية مبنية على حقائق واضحة، إلا أن الثابت أن أكبر خسائر إسرائيل هي أن الحرب نسفت حقيقة إسرائيل كدولة مارقة عن القيّم الإنسانية لدى الرأي العام الغربي، الذي أبان وفي لحظة فارقة عن تنافر معتبر في تبنّي الرواية الإسرائيلية التي لطالما روجت لها الأخيرة عبر دبلوماسيتها الإعلامية وأذرع اللوبي الصهيوني في الاعلام والسياسة والاقتصاد وفي كل مناحي الحياة، وهي الرواية التي لطالما سوقت لمظلومية إسرائيل كإمتداد للديمقراطية والمنظومة القيمية الغربية في بيئة معادية ومناقضة لها في كل مفاصل هذه المنظومة، ومعها تم تبنّي «معاداة السامية» كوسيلة الغرض منها ترسيخ هذه المظلومية ليس لدى دوائر صنع القرار فحسب بل في المخيال المجتمعي الغربي.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net